المقتطفات المأخوذة هنا من فقرة واحدة في صفحة واحدة أكثر من خطأ واحـد؛ تنبغي الاشارة اليه:

أولاً ــ خلط الكاتبة بين مصطلحي مصدر ومقياس.

ثانياً ــ اعتبارها لوجهة نظر صاحب السيرة او وجهة نظر أفراد من عائلته، في ما يتعلق بتصنيفه اجتماعياً، المقياس والمصدر الأساسيين والوحيدين تقريباً، لتحديد انتمائه الطبقي. ومن الواضح هنا ان توجهاً كهذا لا يخدم موضوعية البحث ولا يؤدي الى الدقة العلمية المتوخاة. اذ من غير الممكن تحديد موقع الإنسان الفرد استناداً لما يقوله المرء عن نفسه، بل استناداً الى موقعه الحقيقي في انتمائه الى طبقة اجتماعية محددة واستناداً الى ممارساته التي تشير الى ذلك الانتماء.

ثالثاً ــ وهو الأكثر فداحة، حيث استثنت الكاتبة، كما هو وارد في النص المأخوذ عنها حرفياً، الـ «بندين فقط» اللذين يتعلقان بالانتماء الاجتماعي والمستوى الاقتصادي، وهذان البندان اللذان تمّ استثناؤهما «فقط»، هما في حقيقة الأمر كل شيء ضروري للبحث في هذا المجال جملة وتفصيلاً.

ولننتقل الآن الى نموذج آخر في الجدول (رقم ٦ ــ أ، ص ٦٧١) حيث تبين الأرقام ان نسبة الجامعيين في العينة المأخوذة هي ٦٥٪. وتعلق الكاتبة على هذه النسبة بالقول: «ان ارتفاع نسبة الجامعيين في النخبة مؤشر حضاري» (ص ٦٧٢). ولا نعرف علام اعتبرت الكاتبة هذه النسبة مؤشراً حضارياً، والغالبية العظمى من الجماهير الفلسطينية كانت تعاني من اتساق الفقر والجهل والأمية في تفاصيل حياتها اليومية. ان الدلالة الوحيدة الممكنة للنسبة العالية من الجامعيين في النخبة السياسية الفلسطينية آنذاك، هي ان التعليم، والجامعي منه على وجه التحديد، كان مقتصراً على قطاع معين من أبناء العائلات الميسورة والثرية في قمة السلم الطبقي للمجتمع الفلسطيني. فالنتيجة إذاً تتناسب تناسباً طردياً مع كون هؤلاء «أبناء عائلات»، ولا تعكس، بأي حال من الأحوال، المستوى التعليمي العام للسواد الأعظم من الشعب الفلسطيني. ثم ألم تعكس حصيلة الأرقام لدى الكاتبة حقيقة انتفاء تمثيل الفلاحين الفلسطينيين في الهيئات القيادية العليا انتفاء مطلقاً (ص ٦٥٥)؟ في حين كان لهؤلاء دور كبير في اللجان القومية في المناطق؛ مما يعني أيضاً ممارستهم النضال السياسي على أرضه الحقيقية بين جماهير الشعب، وليس في استجداء الانتداب البريطاني ومهادنته مع غيره من الامبرياليات والطبقات العربية المتواطئة. الا تعكس حقيقة انعدام تمثيل الفلاحين في القيادات المقررة إذاً، دلالات سياسية واجتماعية على موقع النخبة السياسية التي لم تنبثق عن الشعب بل تم تسييدها عليه تاريخياً عبر دول وحكام؟

نكتفي بهذا القدر من القسم العاشر ونعود للأقسام التسعة الأُوَل ــ ولنا بصددها ملاحظات اجمالية حول آراء الكاتبة وتحليلاتها التي تسرعت فيما يبدو بابدائها دون تمحيص. وصفحات الكتاب تكاد لا تخلو من رأي او تفسير يتطلب التعليق عليه. غير اننا سنكتفي هنا بالاشارة ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ الى نموذجين منها:

الأول، ورغم انه جاء عابراً في سياق النص، الا ان المضمون الأيديولوجي والسياسي يتطلب التنويه به، تقول الكاتبة في معرض «دحضها» للتهم الموجهة للحاج أمين الحسيني بشأن علاقاته مع المانيا النازية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية: «ان المعركة في حقيقتها بين النازية والصهيونية هي معركة بين العنصرية والعنصرية، بين الطغيان والطغيان. **وهتلر الزعيم السياسي الذي استطاع ان يدرك من بين زعماء العالم مدى خطورة الحركة الصهيونية في حالة استفحالها وسيطرتها** (التشديد من عندنا)، لم يتورع أبداً عن استعمال الأساليب اللاانسانية، للقضاء على اليهود بلا تفرقة». (ص ٤٦٠). الشيء الوحيد الذي لا جدال عليه في هذا المقتطف هو ان الكاتبة بكل صدق ارادت ان تنوه بشجبها لجرائم النازية ضد اليهود رغم اشكالية الوضع الفلسطيني الحاصلة ــ من خلال الأطماع الصهيونية ــ باسمهم. ولكن الشيء الذي لا يمكن اغفاله في ما ورد أعلاه هو ما جاء حول ادراك هتلر «من بين زعماء العالم» جميعاً لخطورة الحركة الصهيونية في حال استفحالها. ويبدو ان الكاتبة كالعديدين غيرها لم تميز بين كون هتلر تغاضى عن الصهيونيين في الوقت الذي نظم فيه